

شرح حديث

”هِنَ حِسْنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ
تَرْكُهُ
مَا لَا يَغْنِيهِ“

أ. أناهيد السميري

ألقى يوم الخميس ١٩-٣-١٤٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com](http://tafaregdroos.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقاؤنا شرح لحديث من جوامع الكلم، وهو في المعاملات.

أعلى المرادات وأولى المطالب أن يصل الإنسان إلى درجة الإحسان، فما الطريق إلى الإحسان؟

لابد أن تتصور أن كل مرتبة من مراتب الدين (مُحسن مؤمن متقي) لها طريق، وهذا الطريق بُيِّنَ بالنصوص في الكتاب والسنة، فالله عزَّ وجلَّ لم يمدح المتقين والمحسنين والصابرين بدون أن يدلهم على طريق التقوى والصبر والإحسان، أحياناً الإنسان يسمع هذه الأسماء الممدوحة يقول يارب اجعلني من المتقين، لكن لابد أن تتعلم كيف تكون من المتقين، كيف تكون من المحسنين.

ما هو الطريق للإحسان؟ جمع القلب في كل أحواله. بأن:

♦ يُخْلِى قلبه من الموانع التي تمنعه عن طريق الله.

♦ ويحليه بما يجلب حياة القلب، ولا يجلب لقلبك الحياة إلا الصلة بالله.

ما معنى طلب التخلية؟

أن أجمع قلبي على أي أريد دفع كل الموانع، وأجمع قلبي على أي أريد كل الطرق التي توصلني لله عز وجل.

والتخلية ماذا تتطلب منا؟ ثلاثة مسائل:

١. الصدق في بذل الجهد. الصدق في إرادة الوصول إلى درجة الإحسان، الصدق في إرادة تخلية القلب عن كل طريق يمنع عن الله، عندك حب لهذه الشهوات لكن كن صادقاً في إرادة دفع هذا المحبوب لما هو أحب إليك، كن صادقاً في أن يمتلئ قلبك تعلقاً به سبحانه وتعالى.

٢. سؤال الله، ولا أعتمد على نفسي في مثل هذه المسألة. سؤال الله أن يطرد من قلبي المفسدات، وأن يُجَلِّي قلبي بالمصلحات.

٣. تعلم طرقها ووسائلها. ونحن في الحديث نقول: ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا))^١.

^١ رواه مسلم (٢٧٢٢).

هذا الحديث الذي أخذنا منه المفهوم السابق أني أطلب من الله عز وجل أن يؤتي نفسي تقواها ويزكيها، فكن صادقاً، واطلب من الله هذا الأمر وتعلم الطريقة.

وفي الحديث: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))^١.

((أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ)) أي قلبي، فلو صلح القلب لصلح الشأن كله.

كيف أتعلم طرق التخلية والتخلية ووسائلها وموانعها؟

مصدري الكتاب والسنة، منها تتعلم طرق التخلية والتخلية.

► حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح، عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه قال:

جَمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ وَأَزْمَتُهُ تَتَفَرَّغُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ :

١ . الحديث الأول: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصُمْتُ))^٢.

٢ . الحديث الثاني: وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))^٣.

٣ . الحديث الثالث: وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ : ((لَا تَغْضَبْ))^٤.

٤ . الحديث الرابع: وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))^٥.

هذه الأربع أحاديث جماع آداب الخير وأزمته؛ فمن يلتزم بهذه الأربعة سيجد في قلبه من الخيرية ما لا يجدها مع التشتت،

اجمع قلبك على فهم هذه الأحاديث، تجد كل الخير.

^١ أخرجه النسائي في "الكبرى" (١٤٧/٦/١٠٤٠٥ برقم)

^٢ رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

^٣ رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وأحمد (٢٠١/١) (١٧٣٧).

^٤ رواه البخاري (٦١١٦).

^٥ رواه البخاري (١٣)، رواه مسلم (٤٥).

نبدأ في شرح حديث: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ: "مِنْ" هنا للتبعيض، أي مِنْ بعض إحصان المرء تركه ما لا يعنيه.

يقول ابن رجب الحنبلي: "وَهَذَا الْحَدِيثُ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ، فَإِذَا تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَفَعَلَ مَا يَعْنِيهِ كَلَّهُ، فَقَدْ كَمَّلَ حُسْنَ إِسْلَامِهِ".

درجة الإحسان كأنها شقين:

١. ترك ما لا يعينك.

٢. فعل ما يعينك.

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ بِفَضْلِ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَهُ وَأَنَّهُ تَضَاعَفَتْ حَسَنَاتُهُ، وَتَكَفَّرَ سَيِّئَاتُهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ كَثْرَةَ الْمُضَاعَفَةِ تَكُونُ بِحَسَبِ حُسْنِ الْإِسْلَامِ

على أي أساس تُضَاعَفُ حَسَنَاتُهُ؟ على حسب درجة حسن إسلامه؛ معنى ذلك أن الناس في حسن الإسلام متفاوتون.

فَقِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)).^٢

ما شرط المضاعفة هذه؟ حسن الإسلام.

كيف آتى بحسن الإسلام؟ من الحديث بترك ما لا يعنى وفعل ما يعنى.

إذن من أجل أن أكون أهل لهذا الحديث المضاعفة أن آتى بحسن الإسلام.

ضد ترك ما لا يعنى: الاشتغال بما لا يعنى.

^١ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي [ص: ٢٨٧] الحديث الثاني عشر.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ: أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنيهِ خِذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فالإنشغال فيما لا يعني من علامة الخذلان.

ما هو مقياس "لا يعني"؟

لأن هذا المقياس هو الذي فيه الخلاف، أحياناً الشخص يسأل أسئلة ويتصور أنها تعنيه، ويبحث عن مسائل ويتفكر فيها ويتصور أنها تعنيه..

قَالَ الْقَارِي -أحد شُراح الترمذي- فِي مَعْنَى تَرْكِهِ مَا لَا يَعْنيهِ: أَي مَا لَا يَهْمُهُ وَلَا يَلِيْقُ بِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَنَظْرًا وَفِكْرًا

١- ما لا يهمله .

٢- وما لا يليق به .

كيف أتركها ؟

١ . قولاً: لا أتكلم فيها.

٢ . فعلاً : لا أفعّلها.

٣ . نظراً وفكراً : لا أبحث وراءها أو أفكر فيها.

كل ما لا يعينك ولا يليق بك لا تتكلم عنه، ولا تفعله ولا تنظر إليه ولا تفكر فيه، هذا هو المطلوب.

وَقَالَ: "وَحَقِيقَةُ مَا لَا يَعْنيهِ: مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ضَرُورَةٍ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَاةٍ، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي مَرَضَاتِ مَوْلَاهُ، بَأَنْ يَكُونَ عَيْشُهُ بِدُونِهِ مُمَكِّنًا، وَهُوَ

فِي اسْتِقَامَةِ حَالِهِ بِغَيْرِهِ مُتَمَكِّنًا، وَذَلِكَ يَشْمَلُ الْأَفْعَالَ الزَّائِدَةَ وَالْأَقْوَالَ الْفَاضِلَةَ"

الفاضلة يعني من الزيادة.

مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ضَرُورَةٍ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَاةٍ: يعني الأمر ضروري في دنياه هذه مشكلة، لأننا عندنا خلاف في ما هو ضروري في الدنيا.

^١ سنن الترمذي/كتاب الزهد/شرح حديث من حسن إسلام المرء (٢٣١٧).

وَلَا يَنْفَعُهُ فِي مَرَضَةِ مَوْلَاهُ: كيف لا ينفعه في مرضاة مولاه؟

بِأَنَّ يَكُونَ عَيْشُهُ بِدُونِهِ مُمَكِّنًا: بدون هذا الموضوع الذي يفكر فيه.

وَهُوَ فِي اسْتِقَامَةِ حَالِهِ بِعَيْرِهِ مُتَمَكِّنًا: يعني حاله مستقيمة بدون ما يتكلم أو يفكر أو يفعل هذا الفعل.

وَذَلِكَ يَشْمَلُ الْأَفْعَالَ الرَّائِدَةَ وَالْأَقْوَالَ الْفَاضِلَةَ.

ما لا يعني هذا يكون:

- قولاً
- وفعلاً
- وتفكيراً
- ونظراً.

إذن اترك ما لا يعينك في الأربعة هذه.

ما هو الذي لا يعينني؟ الذي لا يهمني ولا يليق بي.

ما هو الشيء الذي لا يهمني؟ الشيء الذي ليس بضرورة في الدنيا، ولا ضرورة في أمر الدين.

مقياس ضرورة في أمر الدنيا وفي أمر الدين مقياسه مختلف، لو أتكلم عن مقياس الضرورة في البيوت من جهة الأكل ومن جهة

الفرش نتذكر حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَهُ فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لِمَرْأَتِهِ وَالثَّلَاثُ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ))^١.

نظر لحالنا.. فراش للضيف ونحن لا نحب الضيوف ولا نريدهم! ولما يأتون نراهم ثقلين علينا، ونأخذهم استراحة في الخارج،

انقلبت الموازين! .

^١ صحيح مسلم/كتاب اللباس والزينة/باب كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس (٢٠٨٤).

لابد أن يتغير في عقولنا مقياس الضروري، لأن هذا الزمن البسيط الذي لا نعني به هو الذي يمنعنا من أن نصل إلى درجة الإحسان، نقول كيف ما أقدر أجمع قلبي وقت الصلاة؟! ما يحسن إسلامك إلا لما تترك ما لا يعينك، ليس فقط في الكلام بل وفي الفعل وفي النظر وفي التفكير.

هذه المواضيع الاجتماعية التي تتصل بالحياة الأمثلة كثيرة، أنا أضع القاعدة وكل واحد يأتي بمثل في ذهنه، لكن المهم أن تكون القاعدة تامة صح.

ما هو الشيء الذي لا يعينني ولا يليق بي؟ كل شيء ليس بضروري لا في أمر الدنيا، ولا في أمر الدين.

مقياس غير الضروري: الشيء الذي لا ينفعل في مرضاة الله؛ يعني لو فكرت فيه ما ينفعل في مرضاة الله، لو قلبت النظر فيه ما ينفعل في مرضاة الله، لو تكلمت فيه ما ينفعل في مرضاة الله، لو فعلته ما ينفعل في مرضاة الله.

في الحياة أمور ما تنفعنا في مرضاة الله، ولا تنفعنا في الدنيا، يعني أصبحت لا هي نافعة في الدنيا ولا في الدين، المقياس:

قَالَ: بَأَنَّ يَكُونَ عَيْشُهُ بِدُونِهِ مُمَكِّنًا.

الشيء الذي يكون ضروري لك هو الذي لا تستطيع أن تعيش بدونه، نرى مقياس ما لا تستطيع أن تعيش بدونه، نحن ابتلينا اليوم بـ"الدوق الرفيع"، لابد أن يخاف صاحبه على قلبه، لأن الدوق الرفيع بأن لا أقبل بأي شيء، هذا بلاء منتشر بين النساء، ومن البلاءات المعديّة أيضًا.

وَهُوَ فِي اسْتِقَامَةِ حَالِهِ بِعَيْرِهِ مُتَمَكِّنًا.

ممكن يكون حالته مستقيمة بغير هذا، فجد أن كثير من النفوس متعلقة بتوافة الأمور، وتخطط للتوافه هذه بكل ما تملك من قدرة، بركات الأموال زائلة بسبب أن التفاهات أصبح لها متخصصين.

ما لا ينفعل قولاً: أصبح الشخص يُأثَق نفسه، يُأثَق أكله، كم من حبات الليمون ذهبت ضحية التأنق هي والطماطم وكل هؤلاء! وفي النهاية من يأكل هذا؟ يُرمي!، ولا أحد يشعر بأي مشاعر ألم لما يحصل! ثم نقول لا توجد بركات! قوم تعاملوا بالتأنق مع عطايا الله، ولا واعظ! هذا الذي يخيفك! .

واليوم الخبز الذي كان يُرمى بالأكياس، هو الذي ندفع ثمن هذا البطر الذي كان، والله عز وجل حلِيم.

زمن الطفرة لازال آثارها قريباً، الطفرة لها ٣٥-٤٠ سنة، الله عز وجل حلیم علينا كل هذا الزمن ، جاءت طفرة البترول يقابلها الطفرة في المال والحالة الاجتماعية يقابلها أكياس من الخبز تُرمى، بطولها بكبرها، ثم تأتي نشتكي الخبز فنا، وكل واحد يبحث على وزارة التجارة، والذي يبحث عن التجار، والذي يكلمني عن مصانع القمح، وأين التوبة عن الفعل الذي قمنا به!!.

على كل حال مثل هذا الأمر، التنوّق في الملابس، التنوّق في الطعام، التنوّق في فرش البيت، كل هذا مما لا يعينك، تستقيم حياتك بدونه.

كل ما يؤثر على إسلامك لا يؤثر فقط على الصورة العامة والبذخ ، أيضاً قلبك يتأثر بكثرة النظر والتفكير. النظر إلى التأنق والتفكير فيه تأخذ منا زمن، لكن إحساسنا أننا في النهاية سنكون في حفرة، لابد أن نبحت اليوم عن ما يُؤنسنا في قبرنا.. هذا هو التفكير.

ليس المقصود بالزهن أن تترك الدنيا، بل أن تبقى الدنيا في يدك، إذا جاء من عند الله خير وبركة، إذا ما جاءت ما نحري وراءها، أو ندور في الأسواق حتى تفتت أعضائنا! كل هذا سيؤثر على قلبك وإسلامك، حُسنته يذهب.

ليس نقاشنا حول الزهد، بل حول "قلب العبد"، لا تشغل لا تفكر لا تتكلم لا تفعل ما لا يهَمُّك ولا يليق بك.

شخص مُقبل على ربه، يعلم أن الملك مُلك الله، والرزق من عند الله، وأن العبد إذا كان عند ربه مذكوراً بورك له الدنيا كلها، وإذا كان عند ربه مبغوضاً غير محبوب مهما تأنق لأهل الأرض لا يساوي شيء إلا لما تتغير مقاييسنا في ذهننا، يليق بك أن أتمنى أن أكون أهل الفرح يوم القيامة، من القوم الذين يلبسون حريراً، ما يليق بي أني أكون مبهرجة غاية البهجة، مع التنبيه أن النقاش ليس حول الحرمة، إنما حول يليق ولا يليق.

كل ما زدت انكساراً وذللاً لربك، زدت إظهاراً لهذا الذل على نفسك.

نهاية الموضوع لابد أن تفهم الذي لا يعينك هو الذي لا تحتاجه بضرورة في دينك ولا دنياك، ولا ينفَعك في مرضاة الله عز وجل. كل هذا الكلام الذي مضى "فعلاً".

ما لا ينفَعك قولاً: المواضيع التي تفتح بيني وبين الناس في الجلسات العامة أو الخاصة، فيه كثير من المواضيع لا تعينني، لا في مصلحة لي ولا مصلحة للشخص الذي أمامي، بل في الغالب تكون وراءها مفاسد، فالأسئلة التي لا داعي لها، ابتداء بالسؤال عن العمر أول المسألة للنساء، وانتهاء بالسؤال عن أحوال الزوج وأوضاعه..! يعني لا نستحي إلا أن نقول كم راتبه؟! لكن كل بقية التفاصيل ممكن نسأل عنها.

هذه الأسئلة كلها مُنقصة لحسن إسلام المرء؛ المشكلة ليست في أنك تعديت على حقوق الآخرين فقط! بل إيمانك إسلامك ينقص أيضا.

هذا الدرس غالباً الناس يخرجون منه بمشاعر التعقيد، لا بأس لا بد أن ننشحن، هذا ليس كلامنا هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم، عندك قلب واحد، ولسان واحد، وبدن واحد، لو تكلمت فيما لا يعينك ستنشغل عن الكلام فيما يعينك!، وإذا فكرت فيما لا يعينك ستنشغل عن التفكير فيما يعينك.

ما لا ينفعل تفكيراً: قد يمر شخص جنب مدرسة أهلية، يقول تخيلي كم ممكن يكون دخلهم! ويحسد، هذا آخر ما توصل إليه بعد فكر طويل وانشغال فيما لا يعنيه، ما عنده شيء يفكر فيه، ما عنده قلب يهتم به، فمن كثرة بعده عن الإنشغال عن ما يعنيه وصل لهذه الدرجة أنه ينشغل بتمام تمام ما لا يعنيه!. الانشغال بما لا يعين يورث بعد ذلك أمراضاً!

مع كثرة الاحتكاك ببعض يصبح بيننا كلام، لازم أفكر قبل أن أتكلم هل هذا الكلام الذي أتكلم به ينفعي في ديني؟ ينفعي في هذه الصحبة؟ أو ستكون هذه الصحبة سبب لنقص الإسلام في قلبي؟!

انتبهوا للعلاقات، الاحتكاكات هذه أكثر مواطن تسبب انشغال بما لا يعين، فرق بين هذا وبين النصح، تكلم الذي أمامك من أجل أن توعظه، تكون مُستمع جيد من أجل أن تكون مُرسل جيد، لا من أجل أن تشغل. انتبه وأنت تسمعهم وتكلمهم تسألهم أسئلة ليس لها داعي إنما فقط لإشباع فضولك، حتى هذا مُنقص لحسن إسلامك.

أنت في الحياة لمهمة غاية في الأهمية، لا بد أن يدور عقلك حولها.

الشخص المبارك أينما جلس لا يسأل الناس عن تفاصيل حياتهم، فقط يكلمهم بحيث يُرضيهم عن ربهم، كل الذي يحمل همّه ويشغل باله أن يا قوم اعلموا ما أعلمه عن الله ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾^١ كل همّه أن الناس يحسنوا الظنّ برّبهم، يصبح يكلمهم عن الله، يقول لهم أنتم خُلقتُم في الدنيا من أجل أن تأتيكم البلاءات فتتعلقوا به وحده سبحانه وتعالى، أنتم ما لكم إلا باب الله، ما يرفع عنكم ما بكم إلا الله، ما يستحق أحد أن يُذل عند بابه إلا الله، لا أحد سيعطيك مرادك إلا الله، لا أحد سيهدي ولدك إلا الله، لا أحد سيهدي زوجك إلا الله، بمعنى أن المبارك يدور حول جذب القلوب عند باب الله، فيكون له أجر هذا الجذب إلى بابه سبحانه وتعالى، هذا الذي انشغل بما يعنيه.

^١ مرز: ٤٣

لكن الناس في هذا درجات، لا تتصور أن من أول وضع قدمك على هذا الحديث لابد أن تبلغ الدرجة العالية، أهم شيء أنه يبقى في قلبي أن تدخلي فيما لا يعنيني سبب لنقص حُسن الإسلام، سبب للبعد عن حُسن الإسلام.

العلاقة بين ترك ما لا يعنى والإحسان:

يقول: لابد في قبول المحل -القلب- لما يوضع فيه أن يفرغ من ضده، فقبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات.

تشبيهه: أي كأس فيه زيت وتريد أن تضعي فيها ماء ماذا تفعلين؟ لابد من تفريغه، وبعد ما فرغت ونظفت تضعي الماء. كذلك قلبك لابد أن يفرغ مما لا يعنيه من أجل أن يمتلئ بما يعنيه.

فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبةً ، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبة موضع.

إذا كان القلب ممتلئاً بالباطل بما لا يعنيني اعتقاداً ومحبةً، فلا مكان له ليمتلئ بالحق ومحبه.

كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع، لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه، إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل. وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها.

المقصود أنك تكلم قلب واحد وجوارح واحدة لسان واحد، إذا اشتغلت هذه بما لا يعينك لن تشتغل بما يعينك.

أحياناً الشخص يقول أنا الآن في هذا الزمن سأنشغل بما لا يعنيني لكن بعد قليل سيأتي زمن أنشغل بما يعنيني، نقول الانشغال بما لا يعني مثل العادات التي إذا أكتسبت صعب تغييرها، صعب أن تأتي في مواقف وتحول نفسك، ستجد نفسك في كل مكان لا يلفت نظرك إلا الذي لا يعينك، وهذا ابتلاء جزاء لك، أنت شخص تتطبع بطباع إذا عشت منشغلاً فيما لا يعينك زمناً أصبح من عاداتك أن تبقى منشغلاً بما لا يعينك.

فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته، والشوق إليه والأنس به، لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته ووجهه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره.

محبة غير الله نوع من الابتلاء في المحبة، ليس شرطاً أن أتعلق بشخص، ممكن أتعلق بصفة لا يقبلها الله محبة لها.

فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته، والشوق إليه والأنس به

يعني يفرح بأنه يأتيه هذا الشيء الذي لا يعنيه، مثل القوم الذين أهم ما عندهم فرش بيوتهم أو أنافتهم، لما يملكون مثل هذا يدخل في قلبهم الفرح المدموم.

إذن هذا القلب المشغول بهذه الطريقة لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته، وحبه والشوق إلى لقاءه إلا بتفريغه من التعلق بهذه الأشياء، بترك الانشغال بما لا يعني.

على ماذا يقع ترك ما لا يعني؟

عقلي ولساني وجوارحي، على هذا يقع ترك ما لا يعينني.

عقل العبد:

العبد عنده خواطر، عنده تصورات، عنده تخطيطات، خواطر العبد فيها ما يعنيه وفيها ما لا يعنيه، يمر على خاطر العبد تصورات فيها ما يعنيه وفيها ما لا يعنيه، هذا كله في عقله، يخطط لأمر ما له علاقة بها، ينشغل بأمر ما له علاقة بها.

لاحظي الخواطر التي تمر عليك، الأسئلة التي تمر على خاطرك وتهتم بها هل هو يعينك أو لا يعينك؟!

التصورات، يمرّ عليك أحد وتأخذ عنه تصوّر، هذه التصورات التي تنطبع بها فيها ما لا يعينك، لا تلتقط تصور عن أحد إلا إذا كان يعينك.

أحياناً التخطيطات طويلة المدى تخطط لأشياء ليس لك علاقة بها، أضرب أمثلة على التخطيط:

يكون في الطريق بين جدة ومكة، ويرى أرض فاضية على اليمين وعلى اليسار، يفكر لو بنوها، لو فعلوا، لو عملوا...!، بدل ما يتفكر في الله، بدل ما يذكر الله.

هذه الأشياء التي لا نلامسها هي التي تُكون اعتقادات العباد، ونحن لا نشعر، وفي النهاية يكون طول حياته فقط يفكر فيما لا يعنيه وكل هذه بلاءات عليه! وفي الأخير يقول أنا أعمل كل شيء ممكن ولا أجد شيء في داخل القلب.

ثم يقول لا أحد نفسي أجمع قلبي في صلاتي! مفترض أنك طوال الطريق تذكر الله، وتسأله أن يفتح عليك أن ييسر لك، ويبارك لك في مكانك، افعل كل هذا من أجل أنك لما تصل الحرم تكون مباركا، وكيف تُصلي وكيف تدعي وأنت طول الطريق مشغول بما لا يعينك ومشتت، ثم فجأة تدخل الحرم وتتغير!

تجمع قلبك طول الطريق تجدد قلبك في الأخير، تجمع قلبك طول الحياة تجدد قلبك عند لحظة الوفاة الخطيرة، حسن الخاتمة ما يأتي إلا ممن كان طول حياته من أن تاب وأقبل على ربه وهو منشغل بهذه اللحظة التي ستأتي ولا بد، ولا يعرف موعدها، ولا يعرف كيف يكون حاله، يبقى منشغل بحسن الخاتمة، الانشغال بحسن الخاتمة بالتفكير يؤدي في النهاية أنك توفق لحسن الختام.

لسان العبد: نكتفي بهذا الحديث فيه، عَنِ أَنَسٍ قَالَ: تُؤَيِّي رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ -يَعْنِي رَجُلًا-: أَبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوْلَا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ بَجَلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ))^١.

يعني لو تدخل فيما لا يعنيه أو بجل بما لا ينقصه لم يكن مستحقاً للبخارة.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((مَنْ يَضْمِنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمِنُ لَهُ الْجَنَّةَ))^٢.

وفي حديث عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي فِي آخِرِهِ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا)) فَعُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ((تَكَلَّمْتُ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنِّهِمْ؟))^٣.

وفي حديث آخر: ((مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَرَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَوْرَتَهُ)).

ما هو الكلام الذي لا يعينك؟

نقل صاحب تحفة الأحوزي عن بعض أهل العلم قوله: وَحَدُّ مَا يَعْنِيكَ -في الكلام- أَنْ تَتَكَلَّمَ بِكُلِّ مَا لَوْ سَكَتَ عَنْهُ لَمْ تَأْتُمْ وَمَنْ تَتَصَرَّرَ فِي حَالٍ وَلَا مَالٍ.

^١ سنن الترمذي قال حديث غريب/كتاب الزهد/ باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٦) وقال الألباني صحيح لغره.

^٢ صحيح البخاري (٦٤٧٤).

^٣ سنن الترمذي/كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦).

كل شيء لو سكت عنه لن يحصل ضرر ولا إثم بسببه، إذن هو مما لا يعينك، اترك الكلام عنه.

مِثَالُهُ : أَنْ يُجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ فَتَحْكِي مَعَهُمْ أَسْفَارَكَ وَمَا رَأَيْتَ فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَنْهَارٍ ، وَمَا وَقَعَ لَكَ مِنَ الْوَقَائِعِ ، وَمَا اسْتَحْسَنْتَهُ مِنْ الْأَطْعِمَةِ وَالثِّيَابِ ، وَمَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ مِنْ مَشَائِخِ الْبِلَادِ وَوَقَائِعِهِمْ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ لَوْ سَكَتَ عَنْهَا لَمْ تَأْتُمْ وَلَمْ تَتَضَرَّرْ .

إلى هنا هذا كله ما لا يعينك، إذا ما دخلت الكذب وما دخلت أيضاً تركية.

وَإِذَا بَالَعْتَ فِي الْاجْتِهَادِ حَتَّى لَمْ يَمْتَرِحْ بِحِكَايَتِكَ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ ، وَلَا تَرْكِيَةٌ نَفْسٍ مِنْ حَيْثُ التَّفَاخُرِ بِمُشَاهَدَةِ الْأَحْوَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَلَا اغْتِيَابٌ لِشَخْصٍ ، وَلَا مَذْمَةٌ لِشَيْءٍ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى

إذا تكلمت ووصفت ووصفاً صادق وما فيه تركية لنفسك وما في اختيار لشخص وما في مذممة لشيء خلقه الله كل هذا لو فعلته:

فَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ كُلهُ مُضَيِّعٌ زَمَانِكَ ، وَمُحَاسَبٌ عَلَى عَمَلِ لِسَانِكَ! إِذْ تَسْتَبْدِلُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؛ لِأَنَّكَ لَوْ صَرَفْتَ زَمَانَ الْكَلَامِ فِي الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ زُبَّانًا يَنْفَتِحُ لَكَ مِنْ نَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَعْظُمُ جَدْوَاهُ ، وَلَوْ سَبَّحْتَ اللَّهَ بُنِي لَكَ بِهَيْمًا قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ كَنْزًا مِنَ الْكُنُوزِ فَأَخَذَ بَدَلَهُ بَدْرَةً لَا يَنْتَفِعُ بِهَا كَانَ خَاسِرًا خُسْرَانًا مُبِينًا ، وَهَذَا عَلَى فَرَضِ السَّلَامَةِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي كَلَامِ الْمَعْصِيَةِ ، وَأَنْ تَسَلَّمَ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَ حَالِ الصَّالِحِينَ خِلَافُ ذَلِكَ .

رَوَى مَنْصُورٌ بِنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ فَلَانٌ: مَا أَرَى الرَّبِيعَ بِنِ خُنَيْمٍ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَّا بِكَلِمَةٍ تَصَعَّدُ!

تصعد لله، بمعنى أنها ترفعه عند الله.

- وعن بعضهم قال: صحبت الربيع عشرين عاماً ما سمعت منه كلمة عتاب.

- وَقِيلَ لِلْقَمَانَ الْحَكِيمِ: مَا حِكْمَتُكَ؟ قَالَ: "لَا أَسْأَلُ عَمَّا كُفَيْتُ، وَلَا أَتَكَلَّمُ مَا لَا يَعْنِينِي".

- وقد روي أنه دخل -لقمان- على داؤد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان داؤد يسرد الدرع، فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمَنَعَتْهُ حِكْمَتُهُ، فَأَمْسَكَ. فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ دَاؤُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَيْسَ الدَّرْعُ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ الدَّرْعُ لِلْحَرْبِ، -يعني جاء له الجواب على السؤال- فَقَالَ الْقَمَانُ: الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.

يعني يصبر لا يستعجل.

¹ تحفة الأحوذى.

عينك، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَأَبْقَىٰ﴾^١.

الآية صريحة (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) وردت في موطنين في كتاب الله عز وجل في طه والحجر، ما المقصود منها؟ المقصود أن كل شخص مُتَعَمِّعَةٌ مَتَّعَهُ اللهُ بِهَا فَتْنَةٌ لَهُ، أنت لا تمدَّ عينك إليه تقلب نظرك فيما مُتَّعُوا بِهِ، لا في لبس لا في فرج، كل هذا مرفوض من أجل أن يبقى قلبك منشغل بما يجب أن يكون منشغل به.

أذنك، أحياناً يكون بصورة أو بأخرى أسمع شيء لا يعنيني، ماذا أفعل؟ ما أسترسل في السماع، مثلاً امرأة تتكلم بالجوال، وفي الوسط دخل زوجها يكلمها وهي تتكلم معه، هي في يدها الجوال والحديث الذي يدور بينهم مسموع لك ماذا تفعلين؟ اتركه بصورة أو بأخرى، لا تكوني حريصة أن تسمعي ما يدور، وهكذا.

قدميك وبيديك، لا تسير إلا لِمَكَانٍ يَزِيدُكَ طَاعَةً، يَزِيدُكَ إِيمَانًا، يَزِيدُكَ بِرًا، يَزِيدُكَ قُرْبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وكل شخص بالنسبة له هذه المسألة مراتب، وهكذا بالنسبة لليد، لا تقلب بيدك ما لا ينفعك.

على كل حال إذا تبيَّن اللسان وتبيَّن القلب فهذا تابع له.

نتناقش في الضدّ : الاشتغال بما يعنيني.

قال ابن مسعود: "إذا أراد الله بعبده خيراً سدّده، وجعل سؤاله عما يعنيه، وعلمه فيما ينفعه".

يعني ما يعلمه الله إلا ما ينفعه.

قال زيد ابن علي لابنه: "يا بُنَيَّ اطلب ما يعنيك في ترك ما لا يعنيك، فإن في ترك ما لا يعنيك تركاً لما يعنيك

يعني تدرك به ما يعنيك.

واعلم أنك تقدم على ما قَدِمْتَ، ولست تُقدم على ما أحرث، فأثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً".

يعني أي تصرف الآن تعمله أنت لا ترجع إلى الوراء، بل تترك وراء وتتقدم إلى الأمام لتلقى الله، فأثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً يعني الشيء الماضي.

السؤال : كيف نصل؟

أولاً: بتحديد نقاط الضعف.

قال السري السقطي البغدادي: ما رأيت شيئاً أحبط للأعمال، ولا أفسد للقلوب، ولا أسرع في هلاك العبد، ولا أدوم للأحزان، ولا أقرب للمقت، ولا ألزم لحبة الرياء والعجب والرياسة، من قلة معرفة العبد لنفسه، ونظره في عيوب الناس.

إذاً أول شيء لابد أن أعرف نفسي من أجل أن أتخلص من الانشغال بما لا يعنيني، لابد أن أكتشف نفسي، أفهم أنا من، ما النقاط التي أدخل فيها فيما لا يعنيني تأثر علي، كل شخص عنده نقطة ضعف، أناقتي الشخصية، أناقة الأكل، أناقة البيت، هذا نوع انشغال أو الاهتمام بمسائل لا علاقة لي بها، تفكيراً أو كلاماً أو سؤال الناس عنها، لابد أن تعرف أنت بالذات ما الذي يشغلك؟ أنت بالذات ما نقطة ضعفك؟. لأننا لسنا سواء في نقطة الضعف.

ثانياً: التدريب + الصبر.

ولله در مورك العجلي حين قال: أمرٌ أنا أطلبه منذ عشرين سنة لم أنله ولست بتاركه فيما أستقبل، فلما قيل له ما هو؟ قال: الصمت عن ما لا يعنيني.

بقي يدرّب نفسه على الصمت عن ما لا يعنيه عشرين سنة، يبذل هذا الجهد ما يبس؛ لأن انتظار الفرج عبادة، تنتظر أن يفرج الله عليك أن لا تتكلم فيما لا يعينك.

المسألة تحتاج إلى تدريب وصبر، كل ما أريد أتكلم فيما لا يعنيني أراجع، وأحياناً أنسى وأرجع.

ثالثاً: عدم الاستسهال.

يونس ابن عبيد سُئل عن حاله فقال: إن نفسي قد ذلت لي بصيام اليوم البعيد الطرفين، الشديد الحر، ولم تذلل لي بتك الكلام فيما لا يعينني.

يعني سهل عليها الصيام في يوم طويل شديد الحر لكن ترك الكلام فيما لا يعيني ليس سهل عليها، نلاحظ أننا لا نشعر أنها جريمة أصلاً، بمعنى أنا لا أكذب ولا أغتتاب، أذكركم بالحديث لما الصحابي قال: أُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوْلَا تَدْرِي ، فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعِينِهِ ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يُنْقِصُهُ)).

يعني أنه ليس بدرجة الكمال التي يُبشِّر بالجنة، لو فهمنا الأمر حقيقة ما نطلب من الله إلا أن يعاملنا باسم الغفور الشكور.

رابعاً: ترك الحساسية المرفهة.

- قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم: إن الولاة جعلوا العيون على العوام وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمةً ترباً بي عنها أو فعلاً لا تحبه فعظني عنده وانهي عنه.

- قال ميمون ابن مهران: قولوا لي ما أكره في وجهي؛ لأنَّ الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.

- قال بعض السلف: من حقِّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفرد ربما ذلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ.

فلما نأتي نتكلم فيما لا يُعينا نحتاج أن يقال لنا انتبهوا هذا لا يعينكم، أنا أحتاج أيضاً لما أحد يأتي يتكلم معي فيما لا يُعنيه ولا يعينني أن أقول له.

على كل حال لما يأتي هذا الموقف قبل ما تتكلمي توسلي إلى الله أن ينزل كلامك برد وسلاماً، واحتسي أنك لا مراد لك إلا أنك تُنجي نفسك، وتنجي الناس الذين حولك.

ومسألة الانشغال بما لا يعينك نبدأ بتربية أنفسنا أولاً قبل الكلام عن أي أحد حولنا..

هل السن مؤثر في تغير هذا الطبع؟

قال الإمام الشافعي: طلب الراحة في الدنيا لا يصلح لأهل المروءات، فإن أحدهم لم يزل تعباناً في كل زمان.

يعني ما في زمن توصل فيه تقول هذا طبعي لن أتغير، أنت تبقى طول حياتك تعبان إلى أن تلقى الله، فأياً كان عمرك في النهاية هذا الطبع ممكن أن يتغير، هذه الحال يمكن أن تختلف.

على كل حال هذا الحديث يحتاج منا كثرة ترداد، كثرة تأمل..

أسأل الله عز وجل أن يشرح صدوركم وييسر أموركم وبيارك لكم.